العدد (1854) السنة السابعة - الأربعاء (21) تموز 2010 ◆ http://www.almadapaper.com - E-mail: almada@almadapaper.com

حقيبته المدرسية كشفت قاتليه

من اجل حفنة من الدولارات خطفاه وقتلاه خنقا

بغداد / شاكر المياح

تصوير / سعد الله الخالدي

تزوج جاسم. ع من ابنة عمه ن. ح عام ١٩٧٢، كان زواجا قسريا بحسب الاعراف العشائرية التي تقضي بارغام الفتاة على الزواج من احد ابناء عمومتها، قبل زواجها كانت في الصف الثاني المتوسط متفوقة في دراستها، غير ان ابن عمها الذي تطوع في صفوف الجيش السابق بصفة جندي كاتب، وبعد ان تسلم راتبه الاول ومن ثم الثاني حتى طلب من والده الفلاح الذي هاجر الى بغداد منذ ثلاثة اعوام ان يزوجه ابنة عمه ن. ح، الام شجعت الاب على اتخاذ الخطوة الاولى، ولما تمت مفاتحة والدها ح. ج رفض عرض شقيقه بدعوى انها لا تزال طالبة غير مؤهلة للزواج، ولما كانت عقلية شقيقه محكومة بالتقاليد والاعراف القبلية اصر بقوة على تزويج ابنة شقيقه ح. ج لولده ج. ع ولن تكون لغيره، ولما سمعت والدتها بالخبر اقامت الدنيا ولم تقعدها وصرخت باعلى صوتها لا، وجارتها ابنتها وقالت هي الاخرى لا، الشقيق الثاني لوالد ن. ح الذي يقطن قضاء... حزم امره هو الاخر وقدم الى بغداد قاصدا بيت شقيقه ح. ج ليخطب ابنته الثانية ع. ح الطالبة في الاول متوسط لابنه الجندي المتطوع في الجيش السابق ع. خ حاذيا حذو شقيقه الاكبر ع. ج، وهكذا حاصرا شقيقيهما ليرغماه على تزويج ابنتيه لابنيهما. الصفقة لم تتم الا بعد وقت طويل ونزاعات ومشاجرات اسفرت وفي كل مرة عن تمزيق الملابس (وخمش) الوجوه حد اسالة الدماء، وبعد التي واللتيا تم عقد الزيجتين غير المتكافئتين رغم رفض الابنتين لهما. بعد مرور عامين، انجبت ن. ح ولدها البكر اسمته و. ج وكذلك شقيقتها ع. ح التي انجبت ولدا هي الاخرى اسمته م. ع.

مرت سنوات طويلة حتى كبر و. ج ومثله ابن خالته م. ع وتزوجا، و. ج اعقب اطفالا بنينا وبناتا وتوفي والده كما اعقب م. ع ولدا وبنتا، عمل كلاهما في اعمال حرة شتى، منها اعمال نجارة قوالب البناء، وبعد عام ٢٠٠٣ كانا من المبادرين في اعمال (الفرهود)، واثناء الاحتدام الطائفي المسلح والفلتان الامني قررا اختطاف ابن جيران و. ج الذي مضى على تجاورهما اكثر من عشرين عاما، وكان هذا الجار حاضرا مع و. ج في السراء والضراء وقدم له افضالا كثيرة.

الفدية ٦٨٠٠ دولار فقط

وفي يوم ارتكابهما فعلهما الشنيع، كانا ينتظران الطفل س. ن في منتصف الطريق المؤدي الى مدرسته والذي يسلكه يوميا في الذهاب والاياب وقد ركنا سيارتهما الاوبل على جانبه، ولما عاد من مدرسته وجدهما واقفين امامه، سلم عليهما فدعاه و. ج لركوب السيارة بغية ايصاله الى البيت لم يمانع فهو يعرفهما، سارا باتجاه بيت يقع في زقاق اخر من المنطقة ولما سألهما عن وجهتهما اخبراه بأنهما يرومان ملاقاة صديق لهما وبعد ان ادخلا السيارة كراج الدار المقصودة انزلاه وقاداه الى احدى غرف البيت وهناك عمدا الى تكميم فمه وتقييد يديه الى الخلف، قضى الطفل س. ن ليلته الاولى في ذلك البيت، انشغلت عائلته بتأخره عن العودة الى البيت، وكلما اقترب الليل زاد قلقهم وتوترهم وخشيتهم على ولدهم س. ن، كانت ساعات شديدة الوطء على جميع افراد العائلة، فالام ما انفكت تنوح وتبكي عليه، والاب لم يترك مكانا الا وسأل عنه، وبعد منتصف الليل تم ابلاغ مركز شرطة المنطقة باختفاء الطفل س. ن مع تدوين اوصافه والملابس التي يرتديها، في صباح اليوم التالي رن الهاتف النقال الذي بحوزة ابيه وجاءه الصوت لينبئه بان ولده في الحفظ والصون، وهو سالم ومعافي وسيعود اليهم بعد دفع فدية قدرها ٢٠ الف دولار (شدتان) وخلال ٢٤ ساعة وبعكسه سيجدونه جثة ملقاة على قارعة الطريق ثم اقفل الهاتف. الارباك كان باديا على تصرفات افراد الاسرة المنكوبة، غير ان الاب بادر الى اخبار الشرطة برقم الهاتف الذي تم الاتصال منه، بعد ساعتين رن هاتف الاب مرة اخرى فسأله الخاطف الذي كان يتكلم من تلفون اخر غير التلفون الاول عن مدى استعدادهم للدفع، فرد الاب بانهم ناس فقراء وكادحون ولا يملكون مثل هذا المبلغ، وبعد اخذ ورد وتداول تم الاتفاق على مبلغ ٦٨٠٠ دولار على ان يسلم المبلغ فجر اليوم التالي وتسليم الرهينة عند حلول الظلام وقد حذر الخاطفان ذوي الطفل من مغبة اخبار الشرطة بموضوع المكالمات الهاتفية والا سيضطران الى قتله. اذعن والده للامر ولم يتم اخبار مركز الشرطة بالمكالمات التي اجريت بينهم.

حقيبته المدرسية اول الادلة

استمرت المكالمات الهاتفية بين الطرفين على مدى يومين، وكانت كل مكالمة تتم عبر هاتف نقال مختلف عن سابقه، واخيرا تم الاتفاق على تسليم المبلغ في منطقة خان بني سعد على ان يوضع بقرب جذع شجرة كالبتوس محددة من دون اية رقابة من احد ومغادرة المكان بعد ذلك مباشرة والعودة الى بغداد، وفعلا نفذت عائلة الطفل المخطوف كل ما طلب منها.

ولما كان الطفل يعرف خاطفيه قرر م. ع قتله خنقا بعد ان تسلما المبلغ المتفق عليه وتم نقل جثته بواسطة سيارة الخاطفين الى منطقة تعلوها الاكمات وبعيدة عن منطقة الخاطفين، كان على مبعدة منهما ثمة فتى يرعى ماشيته لم يلمحاه يلهو بهاتفه النقال ذي الكاميرا ولما ابصرهما يحملان جثة الطفل قام بتصوير العملية كاملة من دون ان يعلما به.

كان ذوو الطفل ينتظرون تسليمه على احر من الجمر الا ان الفاعلين اتصلا بهم ليلا ليخبروهم بمكان تواجد الطفل، ولما ذهبوا الى المكان الذي ذكراه لهم عثروا على جثته بدلامن ان يتلقوه بالاحضان.

بعد ان عاد الفتى الراعي الى دار ه والتي تقع في المنطقة ذاتها اخبر والده بالجريمة التي صورها، وعلى الفور انطلق الى مركز الشرطة وعرض لضباطها الصور التي التقطها ولده. تم تدقيق الصور من قبلهم وتحديد نوع السيارة فاتصلوا بذوي الطفل الذين سرعان ما تعرفوا على السيارة، في فجر اليوم التالي تمت مداهمة دار و. ج واقتحامها، احد افراد الشرطة لمح حقيبة مدرسية تحت برميل النفط المركون في حديقة الدار ولما سحبها وجد على الكتب التي في داخلها اسم الطفل المغدور، تم القبض على و. ج وبحوزته كامل المبلغ وبعد التحقيق معه اعترف بجريمته وبمشاركة ابن خالته م. ع الذي استطاع الهرب والاختفاء، بعد شهرين جرت محاكمته والحكم عليه بالاعدام، والحكم على شريكه في الجريمة بالحكم ذاته.

حروب ونكبات جعلتهم في صدارة المسؤولية

إلقاء القبض على مجموعة من المراهقين تحترف السرقة

وائل نعمة

كان للحروب التي فرضت على العراقيين والعقوبات القاسية والعنف بعد سقوط النظام السابق أثر مدمر على الأطفال،كما وتسبب إطلاق النار والتفجيرات في قتل وإصابة وحرمان الآلاف من ذويهم،وهذا العنف اصبح شاخصا امام الاطفال في الشارع وفي شاشات التلفزيون ووصل حتى الى العابهم،ما ادى الي لجوئهم الى الجريمة، خصوصا مع تكاثر عدد الايتام والارامل التي جعلت الاطفال يصبحون هم المعيلون لعوائلهم وتقع عليهم مسؤولية عائلة كاملة بكل متطلباتها ومشاكلها التي يصعب على الطفل او الحدث الصغير استيعابها.

وقد شهدت مراكز الشرطة في بغداد الكثير من الشكاوى ضد مراهقين واحداث وتم القاء القبض على الكثير منهم، حيث اصبحت السرقة وخصوصا على المحال امرا يدعو للقلق! حيث قام مركز شرطة جسر ديالى بالقاء القبض على مجموعة من الاحداث ممن يقومون بسرقة المحال التجارية، الاحداث كانت تتراوح اعمارهم بين الـ(١٣) عاما والـ(١٦) عاما، تمت عملية القاء القبض عليهم اثناء محاولتهم سرقة احد محال الموبايلات في المنطقة التي يسكنون فيها، حيث كانت الساعة الثانية ظهرا والشارع يخلو من المارة والمحل يقع في شارع لايحتوي على الكثير من المحال بل يقع ضمن منطقة سكنية، لذلك استغل هؤلاء المراهقون فرصة خلو الشارع وحاولوا ان يكسروا اقفال المحل ولكن كانت دورية الشرطة قريبة من مكان الحادث واستطاعت ان تلقي القبض عليهم، السراق كانوا اخوين هم (ا. مهدي)، و(ح. مهدي) وأما المتهمون الاخرون ابناء عمهما. المتهمون اعترفوا بان محاولة السرقة لم تكن الاولى لهم بل سبقتها الكثير من عمليات السرقة وخصوصا محال الموبايل ومحال الاجهزة الكهربائية، لانها المسروقات في معظمها ستكون سهلة الحمل ولاتحتاج مجهودا كبيراً.

الكثير من الأطفال يتركون المدرسة ويخرجون إلي الشوارع بحثا عن عمل وهذا يعرضهم الى أنشطة كسب العيش غير المشروعة، ويدخل الكثيرمنهم في حلقة الاستغلال الجنسي وبيع الأسلحة والمخدرات والاقراص الاباحية، وكان احد المتهمين قد اضطر الى ترك المدرسة بعد نكبات متواصلة تعرضت لها اسرته ووجد نفسه في صدارة المسؤولية، لكنه لم يختر طريقاً مستقيماً وعملاً قانونياً يعتاش منه، ورفض ان يكون من بائعي المناديل او (العتالين) او ممن يدفع (العربات) الخشبية في الاسواق كما نصحه اصدقاؤه بان يعمل معهم في البناء، وفضل ان يذهب الى طريق السرقة بعد ان تعرف على مجموعة من الاصدقاء ممن يحترفون سرقة المنازل، فقام معهم بعدد من عمليات السرقة كانت في اغلبها (اسطوانات غاز)، ومن ثم الامر تطور الى محاولات الدخول الى المنازل وسرقة الذهب والسلاح الشخصي. العلاقات التي تنشأ بين المجرمين عادة ماتنتهي بخلاف كبير قد يقتل احدهم الاخر حين يختلفون على سرقة ما، وهذا ما حدث مع هذا المراهق وانتهت علاقته بهم بعد شجار كبير اصيب على اثره برصاصة في ساقه، بعدها قرر ان يشكل مجموعة أخرى تضم اخوه الاصغر واولاد عمه لكي يضمن ان تكون الخلافات في اضيق الحدود، واستمروا بعمليات السرقة حتى سقطوا اخيرا في محاولة سرقة محال الموبايل.

عمليات السرقة التي يكون ابطالها الاطفال والاحداث مؤشر خطير على تركيبة المجتمع العراقي والكثير يتخوف من نشوء جيل امي يكون العنف والإجرام طريقه، كما وتتمنى العديد من الأسر من الحكومة ومن الجهات المسؤولة ان تتبنى قضايا الاطفال وتكثف المراقبة خصوصا على المتواجدين في الشارع وفي التقاطعات فهم أكثر عرضة للابتزاز وللانحراف، كما تمنوا على الاطفال الذين لديهم عوائل ان لا يكونوا مضطرين لتعريض أطفالهم للخطر وتركهم في الشارع، بالرغم من ان الكثير من الأطفال يتحدثون عن أن أسرهم هي التي ارتكبت أفعال الإساءة ضدهم وأجبرتهم على الخروج للعمل سواء كان شرعيا ام لا!

بعد أن غزت الأسواق معادن أخرى

سوق الصفافير مهدد بالانقراض

ما بين المطرقة والسندان تخرج انغام رتيبة لا يمكن ان تسمعها الا في سوق الصفافير، وتضيع كل الأصوات بين ذلك الضجيج المحبب، وهناك امثال عديدة على ضياع الاصوات في خضم ذلك الضجيج! ونحن نتجول في السوق تنقلنا أصوات المطارق، الى اقدم اسواق بغداد العباسية، حيث صناعة الصفر المطاوع لتخرج من بين الانامل الماهرة لوحات النحاس المنقوشة بنقائش الاثار التاريخية العراقية، يعود تاريخ السوق الى العصر العباسي المتأخر، عندما كانت انية المطبخ للبيت البغدادي تعتمد معدن الصفر، الا ان معادن أخرى نافست الصفر منها الالمنيوم والفافون، ودخلت الماكنة، لتغيب مهارة الانامل ورهافة الحس، ما جعل غالبية الصفارين الحرفيين يغادرون هذه المهنة التي توارثوها عن الآباء والأجداد، كما ان عدم الاستقرار السياسي ما غيب السواح عن المجيء الى بغداد والذين تستهويهم تلك الصناعات اليدوية الشعبية، واقتصر عمل الصفارين في الوقت الحاضر على عمل اللوحات التراثية،الى جانب الدلال والمزهريات والمشربيات.

بغداد / سها الشيخلي

صناعات اندثرت

تعد صناعة الصفر من اقدم الصناعات الشعبية في العراق، كما عرف سوق الصفافير بقبلة السواح قبل عقود من الزمن،لما عرف عنه من بيع التحف والمعروضات النحاسية التي تمثل الحضارات التي عاشت وازدهرت في بلاد ما بين النهرين، الا ان السوق في الوقت الحاضر يشهد انحسارا كبيرا من زواره من السواح وغير السواح بسبب الحروب واعوام الحصار والوضع الامني المتدهور، وقطع جزء من شارع الرشيدوجعله ممرا واحدا، ما حدا بالحرفيين المهرة الى ترك هذه المهنة التي توارثوها عن الاباء والاجداد، عند زيارتنا للسوق الذي كان من اشهر واكبر اسواق بغداد وجدنا بضعة محال فيه مفتوحة، ولكن بدون مطارق ولا ازدحام شديد كما كان في السابق، وكغيرها من الصناعات الشعبية اليدوية فقد نافست الماكنة اغلب تلك الصناعات وليست صناعة الصفر فقط، بل هناك صناعة السجاد اليدوي مثلا وصناعة العباءة الرجالية والفينة والسدارة، واذكر قبل اعوام كنا نبحث عن صانع (السدارة) لحاجتنا اليها في احدى المسرحيات، فوجدنا صانعا واحدا ظل محافظا على صناعة هذا الغطاء الرأسي والذي كان شائعا في بداية القرن العشرين.

التقينا الحاج ابو محمد احد اقدم الصفارين الذي حدثنا عن مهنة الصفارين القديمة فقال:

قبل بداية الالفية الثانية كانت مادة الصفر المادة الرئيسة في صناعة اواني الطبخ،وكانت تجرى باليد وتعتمد المهارة والدقة، كما كانت هناك أوان انقرضت الان وهي (الركية) التي تستخدم من قبل النساء لحمل ادوات الاستحمام من (ليفة، صابونة، حجر الحمام) وهي عبارة عن نصف كرة معدنية تنغلق على بعضها مكونة كرة معدنية منقوشة بالزهور والاشكال الهندسية الجميلة، وكانت متواجدة في كل بيت لانها من هدايا العرس والتي تقدمها الام لابنتها عند الزفاف، والأنية الأخرى التي انقرضت هي المشربة وتسمى أيضاً المصخنة والبكمة وهي انية نحاسية تستخدمها النساء لنقل الماء من النهر الى البيت، اما الهاون فهو على نوعين الأول يستخدم لطحن حبوب القهوة ويكون متوسط الحجم والثاني اكبر بحافات عالية ويستخدم ل (دق الكبة) الى جانب الدلال العربية التي تستخدم في المضايف وكذلك (السماور) الذي يستخدم لغلي ماء الشاي، ويشير أبو محمد الى ان الحكومة في العهد الملكي قد منعت استخدام أواني الصفر لأنها غير صحية وتصيب مستخدميها بالتسمم ذلك ان النحاس الاحمر يتفاعل مع الحوامض اثناء الطبخ، وعن أنواع الصفر يقول ابو محمد انه على نوعين الصفر الاحمر والصفر الابيض، واسم الصفر الاصلي هو النحاس الأحمر.

ابو خولة صفار قديم هو الاخر قال:

نطالب الجهات المعنية ومنها وزارة الثقافة وأمانة بغداد بالالتفات والاهتمام بهذه الصناعة الجميلة التي تعتمد على المهارة والحس الفني المرهف، وعن الادوات التي تستخدم في صناعة اواني الصفر واللوحات فيقول ابو خولة: انها عديدة منها المطرقة المسماة (الجاكوج) وهو على انواع منه (ابو الدكمة، والمثلث، الرفيع) وانواع من الازميل الرفيعة والعريضة وهي على شكل بسمار تستخدم للنقش، والـ(طخماخ) الذي يكون على شكل كتلة كبيرة من الحديد الصلب بيد من خشب، يضرب بها النحاس ليكون مطاوعا يسهل قطعه او قصه، الى جانب عدد من المقاصيص منها الصغيرة الرفيعة والاخرى الكبيرة ولكل من تلك المقاصيص مهمته.

هدايا عزيزة

في السوق مع قلة رواده والمتبضعين فيه التقينا المواطنة ساجدة الحيالي ٤٥ سنة وهي مدرسة تريد السفر الى لندن لزيارة شقيقتها المغتربة هناك، تقول ساجدة:

- اجد أفضل الهدايا التي تقدم الى الأهل المغتربين في ارض الله الواسعة اللوحات التراثية المصنوعة من الصفر وخاصة تلك التي تذكرهم بتراث بلدهم، وقد اشتريت العديد من اللوحات الي تمثل الحضارة السومرية وهي لوحة القيثارة السومرية، والتي تمثل الحضارة البابلية لوحة لاسد بابل، والحضارة الإسلامية لوحات الملوية وقباب مساجد كل من كربلاء والكاظمية، وتشير ساجدة الى هناك العديد من اللوحات المستوردة منها اللوحات التركية والإيرانية، إلا أنها تجد اللوحات العراقية الأصيلة هي الأفضل.